جيوبوليتيك التنافس الدولي في البحر الأسود: الجغرافيا وإعادة توزيع القوة

Geopolitics of international rivalry in the black sea: geography and the redistribution of power

أسماء بن مشيرح*

جامعة مولود معمري تيزي وزو – الجزائر

Asma.benmechirah@ummto.dz

تاريخ الارسال:2022/08/31 تاريخ القبول: 2022/11/25 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

تؤثر جغرافيا البحر الأسود على الأهمية الاستراتيجية للمنطقة، ذلك أنها منطقة عبور تجاري وطاقوي، ومجال حيوي تتنافس فيه القوى الكبرى روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، مع انخراط القوى الإقليمية الأوربية والآسيوية في تفاعلات النفوذ بها.

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن إشكالية مدى قدرة جغرافيا البحر الأسود على المساهمة في إعادة توزيع القوة العالمية، في ظل التنافس الدولي بعد أزمة أوكرانيا 2022م. وكان من نتائج تحليل هذه الإشكالية، أن ما يحدث من تفاعلات جيواستراتيجية في منطقة البحر الأسود، له تأثيرات على الترتيبات والقضايا الأمنية والجيو–اقتصادية والسياسية الدولية، ما يؤسس لإعادة هيكلة النظام الدولي وفق تعددية قطبية.

كلمات مفتاحية: الجيوبوليتيك. التنافس الدولي. البحر الأسود. الجغرافيا. القوة

Abstract:

The geography of the black sea affects the strategic importance of the region, because it is a commercial and energy transit area, and a vital zone where great powers like Russia and USA compete; with European and Asian regional powers engaging, in its influence interactions.

This study aims at answering the problematic, of the ability of the geography of the Black Sea to contribute to the redistributing of the global power, in the light of the international rivalry, after the Ukrainian crisis2022. Findings show that the geostrategic interactions, taking place in the region of the Black Sea, have effects on the international political, geo-economic, and security issues, which lead to restructuring the international system according to a multi-polarity.

Keywords: Geopolitics. International rivalry. The black sea. Geography. Power.

*المؤلف المرسل

مقدمة

تعد منطقة البحر الأسود منطقة مهمة ضمن ترتيبات القوة العالمية، فإطلالتها الجغرافية المتوسطة لأوراسيا، جعلتها مجالا حيويا لروسيا من جهة، وللدول الأوروبية من جهة أخرى ضمن سعي الاتحاد الأوروبي إلى التوسع من خلال سياسة الجوار. تزايدت أهمية المنطقة مع عودة روسيا عام 2014م، وضمها لشبه جزيرة القرم، وتبع ذلك تخوّف غربي من امتداد ذلك إلى دول أخرى، وهو ما حدث شهر فيفري 2022م، عندما تدخلت روسيا عسكريا في أوكرانيا. هذا ما جعل التنافس ينتقل مرة أخرى إلى المنطقة، بعد أن كان مرتكزا في الشرق الأوسط ضمن المشاريع الأمريكية. تزامن هذا أيضا مع تمدد التنافس نحو المحيطات، خاصة في منطقة الهندوباسيفيك بين قوى البر الشرقية وقوى البحر الغربية.

أدت أزمة أوكرانيا إلى إعادة النظر في التوزيع الدولي للقوة، وقدرة الولايات المتحدة على الحفاظ على أحاديتها القطبية للعالم، وحمايتها لحلفائها ضد التوسع الروسي ضمن مشروع الأوراسية الجديدة. طرحت تبعات هذا التدخل إشكاليات كبرى فيما يخص الأمن الإقليمي والدولي، وأمن الطاقة والأمن الغذائي، خاصة أنها البحر الأسود منطقة عبور تجاري وطاقوي، وهو ما جعل الدول المطلة عليه تنخرط تلقائيا في تفاعلات النزاع.

ترتبط إشكالية هذه الدراسة بمتغيري الجغرافيا والقوة، وتسعى لفهم الكيفية التي ساهمت بها الجغرافيا في إعطاء أدوار مهمة لعدة دول، مقابل إغفال أدوار دول أخرى حبيسة لجغرافيتها. ففي منطقة البحر الأسود تعد روسيا قوة كبرى مسيطرة، بما يوفره موقعها الجغرافي وقدراتها العسكرية البحرية، وإمدادات الطاقة التي توفرها لأوروبا. وعليه يُعبّر عن إشكالية الدراسة بالسؤال التالي:" **إلى أي مدى تلعب جغرافيا البحر الأسود دورا في تحريك التفاعلات الجيوبوليتيكية، وإعادة توزيع الأدوار على القوى الإقليمية والدولية، بما يؤدي الى تغير في تراتبية القوة العالمية؟** وللإجابة عنها نقترح الفرضية التالية: "كلما تزايد التنافس الدولي في البحر الأسود، كلما حاولت القوى إعادة التموقع في التراتبية الهرمية للقوة، بما يضمن لها تقاسم المصالح في المنطقة".

ويتم تحليل هذه الإشكالية عن طريق مقاربات منهجية من خلال المنهج الوصفي لوصف دينامية التنافس الدولي وجيوبوليتيك المنطقة، إضافة إلى مقاربة انتقال القوة لأورغانسكيOrganski ، التي ترى أن الدول غير الراضية عن التقسيم الحالي للقوة (روسيا والصين) تسعى إلى تغيير شكل النظام الدولي إلى نظام تعددي.

تهدف الدراسة إلى تحليل ديناميكية التفاعلات الإقليمية في البحر الأسود، ومدى تأثيرها وتأثرها بالبيئة الدولية، في ظل التغير في أولويات الدول والقضايا العالمية، التي جعلت من أمن الطاقة متغيرا مهما في إدارة العلاقات بين روسيا ودول الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى أزمة القمح التي أدت إلى تهديد الأمن الغذائي لعدة دول في العالم. من جهة أخرى محاولة فهم كيفية توزيع القوة بعد أزمة أوكرانيا، وإعادة الأهمية لجغرافيا البحر الأسود بعد المستجدات الأخيرة في القرم. بناء على هذا سيتم تقسيم الدراسة إلى محورين:

أولا: البحر الأسود بين الجغرافيا والجيوبوليتيك: الموقع والأهمية

ثانيا: التنافس الدولي في البحر الأسود: التغير في خارطة التوازنات الاستراتيجية

أولا: البحر الأسود بين الجغرافيا والجيوبوليتيك: الموقع والأهمية

تعد الجغرافيا عاملا مهما في تحديد الدور الذي تلعبه الدول في النظام الدولي، ويشكّل البحر الأسود منطقة مهمة ضمن الأنظمة الإقليمية، لما يعطيه موقعه الجغرافي بين آسيا وأوروبا كممر مهم للواردات النفطية، والسلع، إضافة إلى أنه منطقة صدام بين روسيا من جهة وأوروبا والولايات المتحدة من جهة أخرى. لهذا تنشأ حركة مهمة للتفاعلات الجيواستراتيجية تستدعي دراسة لأهمية موقعه الجغرافي في ظل التنافس الجيوبوليتيكي.

1. التحديد الجغرافي والقانوني لمنطقة البحر الأسود

1.1.جغرافيا البحر الأسود

يتوسط البحر الأسود قارتي آسيا وأوروبا، ويعد بحرا شبه مغلق، يتصل ببحر آزوف عبر مضيق كيرتش، ومع البحر الأبيض المتوسط عبر مضيق البوسفور مرورا ببحري مرمرة وإيجا، وتطل عليه ستة دول هي: أوكرانيا، روسيا، جورجيا، تركيا، بلغاريا ورومانيا، كما توضح الخريطة التالية:

الخريطة 01: الموقع الجغرافي للبحر الأسود

المصدر: محمد ممدوح، البحر الأسود: صراع قديم متجدد وأهمية استراتيجية متزايدة، اضاءات، 2017/03/30، نقلا عن: https://bit.ly/3pqvX6Y، (2022/08/17).

تبلغ مساحة المسطح المائي للبحر الأسود 461.000 كلم^2 مع احتساب بحر آزوف، وأعمق نقطة به تقع على بعد 2210مترا، أما طول سواحله من الشرق إلى الغرب فيبلغ 1175 كلم.[1] تصب بالبحر الأسود عدة أنهار أهمها نهر الدانوب في الشمال الغربي، والذي يعد ثاني أهم نهر في أوروبا بعد نهر الفولغا، ويتدفق النهر عبر حدود عدة دول في البحر الأسود مولدوفا صربيا رومانيا بلغاريا، وأوكرانيا أين ينتهي في البحر الأسود. وتستمد منطقة البحر الأسود أهميتها من كونها ممرا بحريا للطاقة من البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط، نحو بحر قزوين وآسيا الوسطى الغنيتان بموارد الطاقة. إضافة إلى المعادن والموارد الطبيعية، كما أنها تضم كلا من روسيا وتركيا كدولتين عضوتين في مجموعة العشرين الاقتصادية، وهو ما يجعل القدرة الاقتصادية والتجارية للمنطقة مهمة في الاقتصاد العالمي.

تحتوي مياه البحر الأسود على كميات كبيرة من النفط، حيث أعلنت تركيا عن اكتشافات نفطية مهمة في حقل سكاريا بالبحر الأسود، والذي يمكن أن يضيف لها حوالي 10 مليون متر مكعب من الغاز يوميا.[2] بينما تقع أهم محطات النفط الروسية على سواحل هذا البحر، ما يجعله مهما في انتاج ونقل النفط العالمي. كما توفر شبه جزيرة القرم، موقعا مهما لروسيا بإطلالة على البحر الأسود، كما أن أكثر من نصف سكانها من القومية الروسية، إضافة لقربها من مضيق كيرتش المنفذ الوحيد نحو بحر آزوف، وتحتوي القرم أيضا على عدة حقول للغاز تنجزها شركات روسية.

2.1. الإطار القانوني لتحديد منطقة البحر الأسود

جاءت اتفاقية مونترو عام 1936م لنظام المضائق العالمية، لتعطي لتركيا حق السيطرة على مضيق البوسفور، وهو ما منحها فرض رقابتها على السفن الداخلة والخارجة من البحر الأسود، حيث نصت المادة الثانية من الاتفاقية على أنه " في وقت السلم تتمتع السفن التجارية بحرية العبور والملاحة في المضائق ليلا ونهارا، تحت أي علم وحاملة لأية بضاعة، مع مراقبة صحية حسب القانون التركي"، أما في حالة الحرب فعلى السفن التجارية العبور نهارا فقط، وللسلطات التركية الحرية في تحديد رخصة المرور والطريق الذي يجب المرور عليه.[3]

أعطت هذه الاتفاقية دورا لتركيا في إدارة عمليات النقل التجاري الدولي عبر البحر الأسود، وأصبحت المبادلات التجارية من وإلى المنطقة محكومة بتقديرات السلطات التركية وبالقانون التركي، وهو ما جعل الاستقرار نسبيا في توزيع القوة بين المحورين الشرقي والغربي.

بقيت منطقة البحر الأسود خلال الحرب الباردة منطقة لتحقيق التوازن بين المعسكر الغربي وحلفائه كتركيا واليونان من جهة، وبين الاتحاد السوفياتي وحلفائه كبلغاريا ورومانيا، لكن هذا الوضع الجيواستراتيجي للمنطقة تغير بعد نهاية الحرب الباردة بشكل فيه ديناميكية كبيرة، حيث أدى تفكك الاتحاد السوفياتي الى ظهور دول جديدة، وخلق وإعادة احياء نزاعات تاريخية حدودية بين دول المنطقة، إضافة إلى الحركات الانفصالية والنزاعات القومية في عدة دول. وهو ما جعلها تفتقد إلى هوية مؤسساتية تخلق أطرا للتعاون، في ظل الاختلاف في مستويات النمو الاقتصادي وأولويات التنمية الداخلية لدولها.[4]

لم يظهر إطار مؤسساتي لهذه المنطقة إلا في 25 جوان 1992م، أين اجتمع زعماء 10 دولة (أرمينيا، ألبانيا، أذربيجان، جورجيا، أوكرانيا، اليونان، مولدوفا، بلغاريا، روسيا، تركيا) في قمة مضيق البوسفور.[5] ظهر بهذا التحديد أن المنطقة لا تضم فقط الدول المشاطئة للبحر، وإنما تأخذ بعين الاعتبار القرب الجغرافي أيضا، وهو ما جعل كلا من أرمينيا، ألبانيا، أذربيجان، اليونان ومولدوفا تشارك في القرارات الخاصة بإدارة المنطقة.

تم تأسيس منظمة التعاون الاقتصادي BSEC عام 1999م، المنبثقة عن هذا الاجتماع، لتصبح منطقة البحر الأسود محددة في القانون الدولي، مكونة من 12 دولة منها 10 المجتمعة في قمة مضيق البوسفور، إضافة إلى رومانيا وصربيا.

بقيت المنطقة مجالا للتنافس بين روسيا وحلف الناتو الذي يجري المناورات العسكرية المشتركة بصفة دائمة في البحر الأسود، ومع ذلك بقي هذا التنافس غير واضح المعالم، إلا بعد أزمة جورجيا ثم ضم شبه جزيرة القرم عام 2014م، والتي كانت نقطة تحوّل في الاستراتيجية الروسية اتجاه المنطقة، حيث اتسعت المعضلة الأمنية وتزايدت أهمية البحر الأسود كفضاء حيوي لروسيا يصلها بالمياه الدافئة. لكن التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا شهر فيفري 2022م، قلب التوازنات الجيواستراتيجية، ودفع بالدول الإقليمية لمحاولة ترتيب مواقعها، والاستفادة من الانقسام الدولي للعب أدوار جديدة باستعمال مكسب الجغرافيا.

2. الأهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة البحر الأسود

1.2.أهمية منطقة البحر الأسود في النظريات الجيوبوليتيكية

ظهرت أهمية منطقة البحر الأسود في النظريات الجيوبوليتيكية باعتباره جزء مهما مما أسماه المفكرون بقلب الأرض، وهي المنطقة التي تتوسط العالم وتشمل أجزاء من قارتي أوروبا وآسيا، وتأخذ منطقة البحر الأسود جزء مهما منها. كانت **نظرية "قلب الأرض**"Heart land theory لهالفورد ماكيندر، قد أكدت أنه من يسيطر على قلب الأرض يسيطر على جزيرة العالم، ومن يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم. وبهذا اندفعت القوى الكبرى لبسط نفوذها في هذه المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى، أين كانت هذه الرقعة الجغرافية ساحة للحرب والصراع بينها، وصولا الى ما بعد الحرب الباردة، أين أصبح التنافس الجيوبوليتيكي على البحار والممرات البحرية مهمّا، بنفس القدر الذي كان للأراضي والبر.[6]

وإن كان ماكيندر في نظريته عام 1904م، لم يضم منطقة البحر الأسود الى قلب الأرض، لكنه في تعديله للنظرية عام 1919م، جعل كلا من البحر الأسود وبحر البلطيق ضمنها، ذلك أن كلا المنطقتين أصبحت لهما أهمية بعد الحرب العالمية الأولى، ورغبة القوى الكبرى آنذاك في توسيع النفوذ نحوهما كما توضح الخريطة التالية:

الخريطة 02: منطقة البحر الأسود ضمن قلب الأرض حسب نظرية ماكيندر 1919م

Source: lotus aris, heartland and rimland theory, (25/01/2022), in: https://bit.ly/3TgeJqq, (25/08/2022).

وبالنظر إلى اسهامات فريديريك راتزلRatzel في "**المجال الحيوي**"، تظهر منطقة البحر الأسود كمجال حيوي مهم بالنسبة لروسيا، ولهذا يجب عليها ضمان هيمنتها ونفوذها، عن طريق التوسع في هذا المجال.[7] وفي هذا الإطار أيضا اعتبرت نظرية "إطار الأرض" الريملاندRim land لنيكولاس سبيكمانSpykman، أن البحار الهامشية التي تفصل المجال الأرضي عن المحيطات الكبرى، أهم من منطقة قلب الأرض، وفي هذا الإطار يمكن أن يشمل الريملاند منطقة البحر الأسود، على اعتبار أنها مجال تتنافس فيه قوى البر (روسيا)، مع قوى البحر الغربية التي تحاول توسيع نفوذها في البحار.

من جهة أخرى جاءت **نظرية القوة البحرية**the sea power theory لألفريد ماهان Mahan، كمدخل لتفسير التحرك الجيوبوليتيكي الأمريكي في البحار، والتي انطلق فيها من نماذج تاريخية للتنافس على البحار كانت بين فرنسا وانجلترا، وعلى النفوذ في الممرات البحرية. ازدادت أهمية النظرية بعد الانفتاح التجاري مع العولمة، حيث أصبحت حركة التجارة البحرية الدولية مهمة أكثر، وتزايد معها التنافس على البحار والمحيطات، واتّجهت الدول التي كانت تركّز على التوسع البري، إلى البحث عن السيطرة في البحار أيضا. وبهذا شكّل البحر الأسود أحد المناطق المهمة في هذا التحوّل الجيوبوليتيكي لاستراتيجيات القوى الكبرى.

أما في الفكر الجيوبوليتيكي الروسي، فقد حصر ألكسندر دوغين Alexander Duginجيوبوليتيك التنافس الدولي في التنافس بين قوى البر التليروكراتيا، التي تحاول التغلغل في الأرض عن طريق التوسع في المحيط الجغرافي، مع قوى البحر التالاسوكراتيا، وهي الامبراطوريات البحرية التي يعتمد نفوذها على الهيمنة في البحار.[8] وتلعب في هذا أوكرانيا ومنطقة البحر الأسود منطقة عازلة بين الحضارتين البرية والبحرية، حتى أن دوغين كان قد اقترح ما أسماه "فيديرالية البحر الأسود والبلطيق"، على اعتبار أن هذه المنطقة ستميل جيواستراتيجيا للحضارات البحرية.[9]

يأتي تشكيل الإمبراطورية الأوراسية من خلال تحقيق الهيمنة في الحزام القاري الأوراسي، وهو الذي يشمل رابطة الدول المستقلة وروسيا الاتحادية، والمكونان للكتلة القارية الأوراسية،[10] لكن العائق الجيوبوليتيكي أمام ذلك هو وجود أوكرانيا كدولة "ذات سيادة"، وهو ما يجعل منطقة البحر الأسود منطقة نزاعات وتهديد للأمن القومي الروسي.[11] فهدف روسيا الجيوبوليتيكي هو ضمان أمن مجالها الحيوي، الذي ترى أن توسع حلف شمال الأطلسي شرقا هو تهديد له.

2.2.أهمية البحر الأسود في حركة التفاعلات الاستراتيجية الدولية

لمنطقة البحر الأسود أهمية جيوبوليتيكية كبيرة بالنسبة للقوى الكبرى ومصالحها، حيث يعد طريقا مهما لنقل الموارد الطاقوية من آسيا نحو أوروبا. تشكل منطقة بحر قزوين وآسيا الوسطى، منطقة مهمة في إمدادات الطاقة العالمية، لما تحتوي عليه من كميات كبيرة من النفط والغاز، إضافة إلى ما تنتجه روسيا كأول مصدّر للطاقة نحو أوروبا، وهو ما جعل البحر الأسود منطقة عبور بحري طاقوي، حيث تتوزّع أنابيب نقل الغاز في المنطقة منها أنبوب بلوستريم ضمن المجرى الجنوبي، الذي يمر عبر البحر الأسود نحو تركيا، ثم بلغاريا

واليونان وإيطاليا. كما تعد أوكرانيا أهم نقاط عبور إمدادات الطاقة من روسيا نحو الاتحاد الأوروبي، بخط يامال وخط سويوز، كما يظهر في الخريطة التالية:

الخريطة 03: مسار أنابيب النفط في منطقة البحر الأسود نحو آسيا وأوروبا

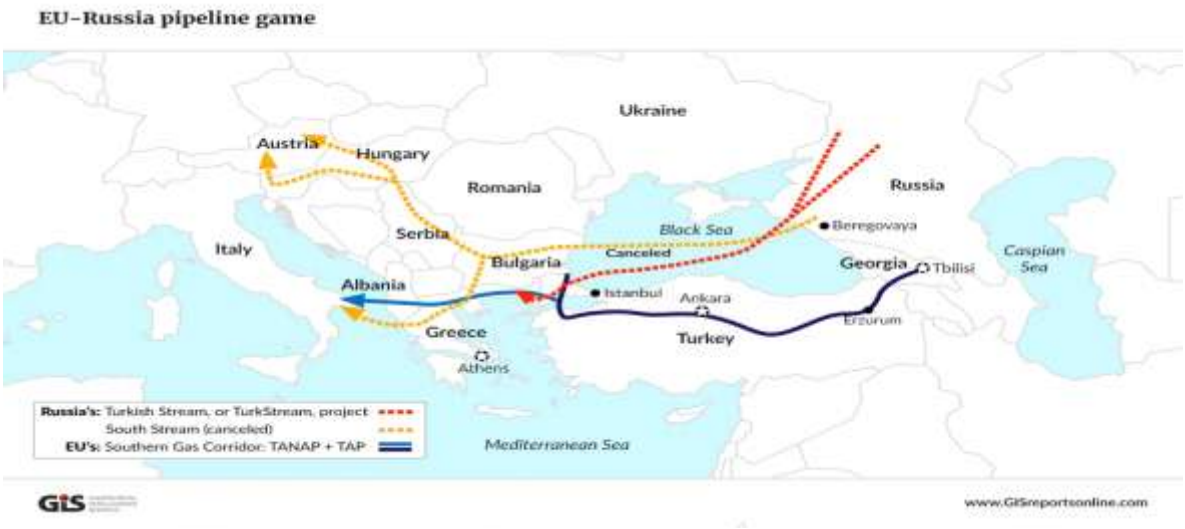

المصدر: قسم الترجمة، لعبة خطوط الغاز تركيا تتحول الى نقطة ضعف لأمن الطاقة الأوروبي، صحيفة الاستقلال، (2019/02/20)، نقلا عن الموقع: https://bit.ly/3QFBHFL، (2022/08/18).

إضافة إلى ذلك تحتوي مياه البحر الأسود على كميات كبيرة من النفط، ويأتي تصديره من ثلاث محطات من كل من روسيا كازاخستان وأذربيجان، بحوالي 1.8 مليون برميل يوميا، كما تستورد كل من بلغاريا ورومانيا مواردهما النفطية عبر الموانئ الساحلية في البحر الأسود. في الجهة الغربية للبحر يتم استيراد كميات كبيرة من النفط عبر مضيق البوسفور، قادمة من البحر الأبيض المتوسط، وهو ما يجعل الاعتماد كبيرا على النقل البحري لتسديد هذه الحاجيات.[12]

من جهة أخرى توفّر المنطقة فضاء لعبور السفن التجارية والبضائع والسلع، فخطوط التجارة الدولية من آسيا نحو أوروبا تشمل شبكة كبيرة من السكك الحديدية في آسيا الوسطى، وبحر قزوين، ثم الموانئ التجارية المنتشرة عبر سواحل البحر الأسود. حيث تعد كل من روسيا وأوكرانيا أهم مصدري القمح في العالم بربع النسبة العالمية، فموانئ أوكرانيا الجنوبية كأوديسا وبيفديني تصدّر شحنات كبيرة عبر البحر الأسود، نحو أوروبا وافريقيا. شكلت أزمة أوكرانيا تهديدا كبيرا لأمن الغذاء في العالم، ذلك أن الحرب أدت إلى قصف المنشآت في الموانئ التي يصدر منها في أوديسا، وخيرسون وماريوبول. وهو ما جعل الكثير من الدول تتخوّف من الوقوع في أزمة غذاء عالمية كبيرة.[13]

على إثر ذلك جاء الاتفاق الثلاثي في إسطنبول في 22 جويلية 2022م، بين تركيا وأوكرانيا وروسيا، لإعادة الشحنات عبر البحر الأسود، وعدم مهاجمتها من طرف روسيا، بشرط تفتيش السفن في تركيا، وهو الشرط الذي وضعته روسيا تخوفا من أن تحمل هذه الشحنات أسلحة من وإلى أوكرانيا.[14]

توضح الخريطة التالية حركة نقل القمح من البحر الأسود نحو آسيا.

الخريطة 04: طرق نقل القمح من منطقة البحر الأسود نحو آسيا الوسطى وجنوب القوقاز

Source: Miranda svanidze and others, food security and the functioning of wheat markets in Eurasia: a comparative price transmission analysis for the countries of central Asia and the south Caucasus, springer, 2019, in: https://bit.ly/3PMgRmI , (24/08/2022).

أما بالنسبة لروسيا فتعد منطقة البحر الأسود فرصة للانفتاح على المياه الدافئة، وهو الهدف الجيوبوليتيكي المهم لروسيا، حيث تحاول الخروج مما أسماه ألكسندر دوغين "مأزق الشمال"، الذي يشمل سيبيريا وشمال البلطيق، والذي يقيّد الاستراتيجية الروسية للتوسع، فرغم سعيها لإيجاد طرق تجارية أخرى، كالطريق القطبي عبر مضيق بيرينغ، مازالت روسيا غير قادرة على استغلال امكانياتها، والخروج من الطوق الجغرافي الشمالي، الذي يجعل من تكاليف النقل والتنمية واستخراج الموارد الطاقوية أكبر. لهذا بدأ التحرك الاستراتيجي في الأزمة السورية وصولا إلى ضم شبه جزيرة القرم، لما يحققه من اطلالة على البحار الدافئة.

ثانيا: التنافس الدولي في البحر الأسود: التغير في خارطة التوازنات الاستراتيجية

شهدت منطقة البحر الأسود حراكا استراتيجيا كبيرا بعد التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا، حيث أصبحت المنطقة فضاءً للتنافس بين القوى الكبرى، وساحة للمواجهة المباشرة بعد امتداد الحرب الى خارج الحدود الأوكرانية نحو شبه جزيرة القرم. من جهة أخرى فرضت هذه المستجدات على القوى الإقليمية في البحر الأسود محاولة ترتيب موقعها ضمن التحالفات الدولية، كأوكرانيا وتركيا هذه الأخيرة التي استطاعت العودة استراتيجيا من خلال موقعها الجغرافي، وانخراطها في اللعبة الدولية.

1. التحركات الاستراتيجية في البحر الأسود: المواجهة بين الأوراسية والأطلسية

1.1. ضم شبه جزيرة القرم 2014م

جاءت أزمة جورجيا عام 2008م، وتمكّن روسيا من اقتطاع جزء كبير من أراضي جورجيا، واعلان استقلال كل من أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، كنقطة تحول في المشهد الجيوبوليتيكي في البحر الأسود، والذي كان غير واضح لوقت طويل، حيث أصبحت أبخازيا دولة مستقلة مطلة على البحر الأسود، ومؤيدة لروسيا ضد التحالف الأطلسي، إضافة إلى كونها منفذا جديدا يسهل وصول روسيا إلى مضيق البوسفور.

ثم بعد ثورة 2014م في أوكرانيا التي أطاحت بالرئيس يانوكوفيتش، تمكنت روسيا من إعادة ضم شبه جزيرة القرم التي كانت تحت سيطرة أوكرانية، في عملية عسكرية سريعة جاء بعدها استفتاء كانت نسبته أكثر من 96% لصالح الانضمام الى روسيا، وهو الحدث الذي غير جغرافيا البحر الأسود من جديد. توضح الخريطة التالية الموقع الجغرافي لشبه جزيرة القرم.

الخريطة 05: الموقع الجغرافي لشبه جزيرة القرم

المصدر: خالد شمت، شبه جزيرة القرم، (2014/03/02)، الجزيرة، نقلا عن الموقع: https://bit.ly/3CoGEOZ، (2022/08/20).

تعد قاعدة سيفاستوبول في شبه جزيرة القرم، أهم قاعدة بحرية روسية في البحر الأسود، حيث تم توقيع اتفاقية بعد تفكك الاتحاد السوفياتي لتأجير القاعدة التي تضم أسطول البحر الأسود، وهو الأسطول الذي ورثته روسيا عن الاتحاد السوفياتي. وتسهل القاعدة انطلاق القوات العسكرية الروسية نحو البحار الدافئة عبر مضيق البوسفور، ثم قاعدة طرطوس بسوريا والتوجه نحو البحر الأبيض المتوسط. لهذا كانت أهداف روسيا الاستراتيجية من ضم شبه جزيرة القرم، هو جعل سيفاستوبول منطقة روسية خالصة، والتحوط إذا ما انضمت أوكرانيا لحلف الناتو، وهو ما كان سيشكل تطويقا استراتيجيا يهدد أمن روسيا وسيادتها. وبهذا أصبحت روسيا القوة المهيمنة على البحر الأسود ومنافذه نحو بحر أزوف عبر مضيق كيرتش، ونحو البحر الأبيض المتوسط عبر مضيق البوسفور.

تزايد التنافس بين روسيا والناتو في البحر الأسود بعد ضم شبه جزيرة القرم، وتزايدت المناورات العسكرية التي يريد كل طرف اثبات قوته بها، ففي عام 2015م أجرت تركيا مع قوات حلف الناتو، مناورات في البحر الأسود، كان الهدف منها تطوير أنظمة التصدي للغواصات، ووضع منظومة الدفاع الجماعي في حالة استعداد.[15] من جهتها نشرت روسيا منظومة S400 على طول سواحل شبه جزيرة القرم.

استمرت المناورات بين الناتو وتركيا، ففي عام 2021م تم اجراء مناورات "دايف" المشتركة عام 2021م، في المقابل وفي نفس العام أجرت روسيا مناورات "نسيم البحر" في البحر الأسود.[16] من جهتها أجرت كل من تركيا أوكرانيا جورجيا ومولدوفا، مناورات بحرية من أجل "إبقاء الاستقرار والأمان في البحر الأسود".[17]

إضافة إلى ذلك شكّلت حوادث عسكرية في البحر الأسود مظهرا مهما للتنافس بين روسيا والغرب، حيث جاء اعتراض مدمرة ديفندرD35 البريطانية من طرف البحرية الروسية في محيط رأس خيرسونيس، نحو بحر آزوف شهر ديسمبر 2020م، بحجة أن المدمرة اخترقت القوانين البحرية للأمم المتحدة.[18]

يظهر في هذا التنافس دور عامل الجغرافيا في إعطاء أدوار جديدة لدول كجورجيا ومولدوفا، ورومانيا وبلغاريا للاستفادة من مواقعها المهمة في منطقة البحر الأسود، من جانب التحالف الغربي لصد رغبة روسيا في الحفاظ على مجالها الحيوي.

2.1. استراتيجيات القوى الكبرى في حرب أوكرانيا 2022م: نحو إعادة توزيع القوة

جاء التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا شهر فيفري 2022م، كنوع من المفاجأة الاستراتيجية التي أعادت استخدام القوة الصلبة في العلاقات الدولية، حيث اندفعت روسيا عسكريا مبررة ذلك بالتهديد الأمني الذي يأتيها من توسع حلف الناتو شرقا، ومن رغبة أوكرانيا للانضمام الى الحلف. فهذه المنطقة تعد أهم مناطق الصدام clash zones، التي تتصادم فيها مصالح روسيا في الحفاظ على أمنها القومي من جهة، ومصالح الأطلسية المتمثلة في رغبة الاتحاد الأوربي للتوسع، وحلف شمال الأطلسي لضم المزيد من الدول في أوروبا الشرقية لتطويق روسيا استراتيجيا من جهة أخرى.

عرفت الحرب الروسية الأوكرانية محطات مهمة في تغير موازين القوى الإقليمية، وحتى الدولية، بما فرضته من تداعيات على الأمن الأوروبي وعلى إمدادات الطاقة، وتهديدات الهجرة غير الشرعية والنازحين، وصولا إلى أزمة الغذاء العالمية، التي تبعت عدم قدرة أوكرانيا على ضمان أمن موانئها التي تصدر القمح والحبوب لدول العالم، وعدم أمن البحر الأسود أمام ناقلات الحبوب من روسيا.

كما أعطت الحرب في البداية تفوقا لروسيا وأصبح الحديث عن ظهور أقطاب موازنة للقطب الأمريكي، حيث تمكنت روسيا من استعمال النفط كورقة ضغط وتفوّق، في ظل اعتماد الدول الأوروبية على الغاز الروسي، فبعد العقوبات الغربية التي فرضتها الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوربيون على اقتصاد روسيا، اشترطت هذه الأخيرة الدفع بالروبل في معاملات النفط، بدل الدولار واليورو، إضافة إلى القطع المتكرر لأنابيب غاز مهمة، كأنبوب نورد ستريم 1 نحو ألمانيا، ونحو فرنسا نهاية شهر أوت 2022م.

عرفت الحرب تحولا استراتيجيا كبيرا، بعد القصف الذي تعرضت له قواعد عسكرية روسية في شبه جزيرة القرم، وهو الحدث الذي كشف عن رغبة أوكرانيا في استعادة القرم، كما صرح بذلك الرئيس الأوكراني في 23 أوت 2022م. إضافة إلى ذلك أدت الهجمات إلى توسيع رقعة الحرب نحو البحر الأسود، وهو ما يكشف قدرة أوكرانيا على الوصول الى الحدود السيادية لروسيا التي أصبح عليها زيادة استعداد أنظمتها الدفاعية، ومنظوماتها الصاروخية كـ s400 وs500، في التصدي لأية هجمات على أراضيها. بينما يستمر تزويد الغرب لأوكرانيا بالأسلحة، وهو ما يطرح مأزقا أمنياsecurity dilemma جديدا في البحر الأسود، خاصة بعد استفتاء شهر سبتمبر 2022، الذي بموجبه تم ضم أربعة أقاليم أوكرانية إلى روسيا.

من جهة أخرى تأتي الاتهامات المتبادلة بين روسيا وأوكرانيا في قصف محطة زابوروجيا النووية، لتوّسع من هذا المأزق نحو أوروبا ككل، وهو ما يجعل الاستقرار الأمني في منطقة البحر الأسود، مرهونا بتوزيع القوى في أوكرانيا.

تشير هذه التحولات الاستراتيجية في الحرب الروسية الأوكرانية، إلى الدوافع التي تحرك السلوك الاستراتيجي الروسي، والذي يحاول التأسيس لنظام دولي جديد، تتوزع فيه القوة بنمط تعددي، وإذا تمكنت روسيا من حسم الحرب لصالحها، فإن موازين القوة العالمية ستتأثر، بحيث ستبدو الولايات المتحدة غير قادرة على حماية حلفائها، وستدخل أوروبا في أزمة طاقة، تتطلب تنازلات أو تراجعا عن العقوبات الاقتصادية على روسيا، والتي جاءت بنتائج عكسية أدت إلى ارتفاع أسعار النفط، خاصة بعد اجتماع أوبك+ وقرارها بتسقيف الإنتاج. إضافة إلى ما تعانيه الدول الأوروبية من أزمات اقتصادية واجتماعية، أدت إلى ضرورة خفض استهلاك الطاقة، والبحث عن بدائل أخرى، وارتفاع مستويات التضخم في الولايات المتحدة الأمريكية، وتأثيرات الملف النووي الإيراني على أسواق النفط.

تبعا لهذه المتغيرات يبقى للتوتر الأمني في أوكرانيا تداعيات على مركب الأمن الأوروبي، بتهديدات تقليدية أهمها التسلح والانفلات النووي، وتهديدات جديدة كأزمة اللاجئين والأمن الغذائي، ويصبح توزيع القوة بين المحورين الشرقي والغربي مرتبطا باعتبارات أوسع من البعد العسكري.

2. القوى الصاعدة في البحر الأسود: نحو إعادة التوازن

ولأن منطقة البحر الأسود تتوسط قارتي آسيا وأوروبا، فهي تدخل في استراتيجيات القوى الصاعدة الصين والهند، فبالنسبة للصين تعد المنطقة فضاء جديدا للتنافس الاستراتيجي مع الولايات المتحدة.[19] حيث كان اهتمامها سابقا يتوقف عند آسيا الوسطى، بسبب ما تحتاجه من موارد للطاقة، لكن تزايد الحاجيات النفطية والبحث عن الأسواق للسلع الصينية، جعل النفوذ الصيني يمتد الى البحر الأسود ثم أوروبا الشرقية.

تشمل مبادرة الحزام والطريق كلا من رومانيا وبلغاريا، كدولتين ضمن الاتحاد الأوروبي ومنطقة البحر الأسود. ومع أن فرص التعاون الاقتصادي والتجاري مع الصين تبدو مهمة، لكن التباطؤ في إنجاز المشاريع والتخوّف من عدم التوازن التجاري، والدخول في أزمة ديون طويلة الأجل مع الصين،[20] يجعل من هذه المبادرة غير قادرة لحد الآن على تحقيق مكاسب متوازنة بين الصين ودول منطقة البحر الأسود.

بالمقابل لا يمكن للاتحاد الأوروبي تحمل تكاليف أية أزمة اقتصادية لهما على المستوى البعيد، لهذا تبقى مبادرة الحزام والطريق في البحر الأسود، مرتبطة بما تستفيد منه الصين من خطوط نقل تجارية، عبر السكك الحديدية نحو أوروبا الوسطى والغربية، لتعزيز نشاطها التجاري والاقتصادي، في ظل سعي بقية دول البحر الأسود كأوكرانيا وجورجيا، إلى تعزيز علاقاتها مع الاتحاد الأوربي، تمهيدا للانضمام اليه. حيث مازالت تعتبر كل منهما الاتحاد الأوربي الشريك الاقتصادي الأول، بنسبة 42% من مبادلات أوكرانيا الخارجية، و27% من مبادلات جورجيا.[21]

إضافة الى ذلك نشأت مبادرة 17+1 عام 2012م، والتي تجمع الصين بدول وسط وشرق أوروبا، بما فيها دول مطلة على البحر الأسود كبلغاريا ورومانيا، وكان الهدف منها تعزيز التعاون الاقتصادي الصيني-الأوروبي، من خلال استثمارات البنية التحتية ومشاريع النقل، حيث خصصت لهذا ميزانية قدرت بـ 10 مليار دولار.[22] كما تم توقيع اتفاقية بين الصين ورومانيا عام 2013م، لإنجاز ثلاثة مشاريع في مجالات الطاقة النووية بمحطة Cernavoda، والطاقة الكهرومائية بمحطة Tarnita-Lapustesti. لكن المشاريع متوقفة لحد الآن ولم يتم تجسيدها.[23]

ورغم أن هذا الإطار التعاوني كان الهدف منه حسب-الرؤية الصينية-مساعدة دول أوروبا الشرقية والوسطى، على التغلب على المشاكل التنموية واللحاق بدول أوروبا الغربية الأكثر تطورا، لكن هذه الأخيرة كان لها حصة أكبر من الاستثمارات الصينية.[24] لهذا تبقى مبادرة الحزام والطريق أكثر واقعية في طرحها لفرص التعاون بين الصين ودول أوربا الشرقية بما فيها دول منطقة البحر الأسود.

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الصين منافسا استراتيجيا في البحر الأسود، لهذا تحاول عرقلة مبادرة الحزام والطريق، من خلال استخدام الاتحاد الأوروبي كإطار مؤسسي، يقضي بأن الدول الأوروبية المنتمية اليه، عليها إيجاد موقف موحد من نفوذ الصين بالمنطقة، في ظل الانقسام الواضح للدول الأوروبية من قدرة المبادرة على تفعيل العلاقات البينية الأوربية أكثر، وعدم خلق أزمات اقتصادية قد تنتقل من دولة أوروبية الى أخرى كما حدث في أزمة اليونان 2008م.

من جهتها تحاول الدول الأوروبية المطلة على البحر الأسود تحقيق توازن في علاقاتها مع كل من روسيا الصين والولايات المتحدة،[25] حيث تسعى للاستفادة من مبادرة الحزام والطريق الصينيةBRI اقتصاديا، وزيادة الاستثمارات والمشاريع المشتركة معها. فجورجيا مثلا وبحكم موقعها الجغرافي في البحر الأسود بالقرب من أذربيجان نحو بحر قزوين، تسعى لتعزيز علاقاتها التجارية مع الصين ضمن مبادرة الحزام والطريق، رغم علاقاتها الاستراتيجية المهمة مع الولايات المتحدة، حيث زادت الاستثمارات الصينية في جورجيا بعد الانكماش الاقتصادي الذي سببته جائحة كوفيد 19، وأهمها الاتفاق على إنجاز سلسلة موانئ على طول الساحل الجورجي بالبحر الأسود، أهمها ميناء بوتي الذي يعد نقطة جيواستراتيجية مهمة في مبادرة الحزام والطريق.[26]

أما من الناحية الأمنية فتعد جورجيا ضمن حلقة التوسع الأطلسي، الذي يهدف الى اقصاء دور روسيا في آسيا، والتي تشمل أذربيجان ودول آسيا الوسطى والقوقاز.[27]

فمازالت جورجيا تعتمد على المساعدات العسكرية الأمريكية، بعد ثورة الورود عام 2003م، التي جعلت منها حليفا أمنيا مهما في البحر الأسود، حيث زودتها الولايات المتحدة بنظام مضاد للدبابات Javelin، ومساعدات أمنية بقيمة 117.3 مليون دولار عام 2014م، بعد ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، وهو ما يعد تطويقا استراتيجيا لجورجيا.[28] على العكس من ذلك ترى رومانيا أن علاقتها مع الصين هامشية، ولا تسعى لأية شراكة معها، لكونها حليفا استراتيجيا مهما لحلف الناتو وعضوا في الاتحاد الأوربي، حيث ترى في الولايات المتحدة

ضامنا أمنيا مهما ضد النفوذ الروسي في البحر الأسود، بينما تحاول بلغاريا أن تكون علاقاتها متوازنة مع الصين والولايات المتحدة، خاصة بعضويتها في حلف الناتو، هذا أثر على سياستها الخارجية اتجاه الصين ومبادرتها الاقتصادية الحزام والطريق، الذي غابت فيه عن اول منتدى عام 2017م.[29]

أما الهند فتسعى للخروج من آسيا الوسطى نحو أوروبا عبر البحر الأسود، من خلال تعزيز علاقاتها مع الدول الساحلية في البحر الأسود مثل جورجيا وبلغاريا ورومانيا، حيث زار وزير الخارجية الهندي جورجيا عام 2021م، وتم الاتفاق على زيادة الاستثمارات بين البلدين.[30] يؤسس هذا الحراك الهندي خارج الهندوباسيفيك، لرؤية هندية جديدة، تجعل من أوروبا منطقة استثمارات وسوقا للإنتاج ولتكنولوجيا المعلومات القادمة من الهند، في ظل السباق الصيني الهندي على الأسواق الأوروبية.[31] وبهذا تكون الهند قد أوجدت لنفسها موقعا ضمن تفاعلات البحر الأسود، انطلاقا من رؤيتها الاستراتيجية كدولة صاعدة، وعليها التواجد بالبحار والمحيطات كقوة بحرية كما تهدف اليه استراتيجيتها البحرية الجديدة.

3. الأدوار الجديدة للقوى الإقليمية في البحر الأسود: إعادة التموقع

تعتبر منطقة البحر الأسود مهمة في نظام الأمن الأوروبي ككل، حيث لا يمكن تحليل تفاعلات المنطقة بمعزل عن تفاعلات الدول الأوروبية التي ترتبط معها بأربع قضايا: أولها الاندماج المؤسساتي مع الغرب اقتصاديا وأمنيا، المشاريع البحرية في البحر الأسود، التنافس على الزعامة الإقليمية في البحر الأسود، وأهمية المنطقة كمعبر جغرافي للطاقة من القوقاز وبحر قزوين نحو آسيا الوسطى.[32]

تلعب منطقة البحر الأسود دورا مزدوجا بالنسبة للهوية الأمنية الأوروبية، حيث تعد جسرا من وإلى أوروبا، وأي عدم استقرار فيها سينتقل نحو الدول الأوروبية.[33] فكل من رومانيا وبلغاريا عضوان في الاتحاد الأوروبي وفي حلف شمال الأطلسي، وهو ما يجعل موقعها المطل على البحر الأسود مهما في حماية الأمن الأوروبي، من جهة أخرى يتطلب هذا تواجد قوات حلف الناتو بأراضي كل منهما، وهو الأمر الذي اعتبرته روسيا تهديدا لها. فقدرة هتين الدولتين على استغلال التنافس الروسي–الأطلسي، سيمنح لهما مزيدا من المرونة في إيجاد أدوار إقليمية جديدة، والاستفادة من موقعهما الاستراتيجي المميّز.

أما الدور الاستراتيجي الأهم للقوى الاقليمية في البحر الأسود، فيتمثل في دور تركيا، التي يعد موقعها الجغرافي كبوابة نحو البحر الأبيض المتوسط، وقربها من آسيا الوسطى وروسيا، متغيرا مهما في فهم علاقاتها مع القوى الكبرى روسيا، الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية.

تحاول تركيا من خلال استراتيجيتها في البحر الأسود، خلق نوع من التوازن في علاقاتها مع روسيا من جهة، ومع المحور الغربي من جهة أخرى، بالنسبة لروسيا فقد بدأت علاقاتها النفطية مع تركيا عام 1984م، بعد توقيع اتفاقية إمدادات الغاز الطبيعي، وتزايدت الشراكات التجارية والاقتصادية بين البلدين،[34] إضافة إلى المبيعات العسكرية الروسية لتركيا، كان أهمها منظومة صواريخ s400 عام 2019م.

أما مع الولايات المتحدة، فتعد تركيا حليفا مهما بحكم عضويتها في حلف الناتو، الذي يمتلك قاعدة عسكرية في أنجرليك في تركيا المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وهي أهم قاعدة له في الشرق الأوسط، إضافة إلى رغبة تركيا في الانضمام الى الاتحاد الأوروبي.

في ظل هذا المسعى التركي للتوازن، ترغب روسيا في البحث عن منافذ أخرى نحو البحر المتوسط، حيث وقعت اتفاقية خطوط أنابيب مع بلغاريا واليونان عام 2007م، هذه الأخيرة التي ستوفر لروسيا معبرا بديلا عن مضيقي البوسفور والدردنيل في البحر الأسود، حيث سيتم نقل الغاز الروسي وامدادات بحر قزوين إلى الأسواق الأوروبية عبر البلقان، ومن ميناء بورغاس في بلغاريا وصولا إلى ميناء ألكسندروبولي اليوناني.[35]

أما تركيا فتعود علاقاتها مع دول البحر الأسود الى عهد الإمبراطورية العثمانية، التي كانت تضم عدة دول من المنطقة، بعد الحرب الباردة تزايد التحرك الاستراتيجي التركي، وبدأت بتحسين علاقاتها مع بلغاريا ودول البلقان، وعقد اتفاقيات أمنية مشتركة.[36] يسمح هذا التحرك التركي بإعادة بناء علاقات إقليمية تمكن تركيا من استغلال مواردها وموقعها الجغرافي، وهويتها أيضا في لعب دور مهم في البحر الأسود.

مع بداية الأزمة الأوكرانية شهر فيفري 2022م، ظهرت ديناميكية كبيرة في السلوك الخارجي التركي اتجاه الأزمة، حيث حاولت تركيا إعادة التموقع في ترتيبات الأمن الإقليمي بالبحر الأسود، فقامت مع بداية الحرب شهر فيفري 2022م، بغلق مضيق البوسفور المنفذ بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط، أمام السفن الحربية.

ورغم إدانتها للتدخل العسكري الروسي في أوكرانيا، إلا أن تركيا لم تدخل في نظام العقوبات الغربية على روسيا، وانخرطت في جهود الوساطة الدبلوماسية، من خلال اللقاءات التي عقدها الرئيس التركي أردوغان مع بوتين وبعض القادة الأوروبيين، إضافة إلى مقترحات لمفاوضات بين أوكرانيا وروسيا، والوساطة الى جانب الأمم المتحدة، لتأمين ممرات نقل الحبوب وحل أزمة الغذاء العالمية.

إن رغبة روسيا في استخدام النفط كورقة سياسية، والاستفادة من جغرافيا البحر الأسود لنقل الغاز، يتزامن مع رغبة تركيا في أن تصبح أهم نقاط نقل النفط والحبوب في جنوب أوروبا، وهو ما يمكنها من استعادة دورها كلاعب مهم في المسرح الدولي.[37] في نفس الوقت تتخوّف تركيا من التوسع البحري الروسي في البحر الأسود بعد التدخل في أوكرانيا، ذلك أن استيلاء القوات الروسية على الموانئ الأوكرانية الشرقية كأوديسيا، إلى قاعدة سيفاستوبول في شبه جزيرة القرم، سيدفع روسيا مستقبلا لمطالبات في مضيقي البوسفور والدردنيل.[38]

أبانت الحرب في أوكرانيا على توزيع القوى بشكل تعددي في البحر الأسود، حيث تلتقي به أهم القوى الكبرى جغرافيا، روسيا المدعومة من الصين، في المقابل يستمر التواجد الأمريكي ضمن حلف الناتو، لحماية الدول الأوروبية، إلى جانب السعي التركي لإيجاد موقع بين المحورين. بينما تشكّل النزاعات في المنطقة عموما، تهديدا لتحويلها إلى ساحة حرب كبيرة بين القوى الكبرى، ما يؤدي إلى تغيرات في موازين القوى العالمية.[39] فمن يسيطر على البحر الأسود سيكون له التفوّق على الصعيد الدولي.

الخاتمة

تلعب جغرافيا البحر الأسود حاليا دورا مهما في إعادة توزيع القوة الإقليمية والدولية، حيث دفعت حرب أوكرانيا 2022م، بالدول الكبرى للانخراط في التفاعلات الاستراتيجية بالمنطقة، وسعي كل طرف للحفاظ على النفوذ بها، وبناء على هذا يمكن تلخيص نتائج الدراسة في النقاط التالية:

– تدخل منطقة البحر الأسود ضمن قلب الأرض كما جاء في نظرية ماكيندر، وضمن المجال الحيوي حسب راتزل، وهو ما يدفع بروسيا إلى ضمان هيمنتها على هذا المجال، محاولة التوسع به لصدّ أي تهديد من الغرب، الذي بدوره يقترب من حدود روسيا، بعد محاولات توسيع حلف الناتو شرقا.

– توفّر جغرافيا البحر الأسود ممرات مهمة لنقل النفط والسلع التجارية والحبوب، وهو ما يجعلها نقطة اختناق، يؤثر أي توتر أمني بها على أمن الطاقة والغذاء العالميين.

– سعت روسيا بعد ضم شبه جزيرة القرم عام 2014م، إلى ضمان سيادتها كقوة مهيمنة على البحر الأسود، والذي يعد منفذها الوحيد إلى المياه الدافئة نحو البحر الأبيض المتوسط، وهو ما يشكل تغيرا في الاستراتيجية الروسية، من خلال الانتقال من التوسع البري إلى التوسع البحري، ومنافسة قوى البحر الغربية.

– جمعت حرب أوكرانيا القوى الكبرى في منطقة الصدام (clash zone)، التي يشكّل البحر الأسود جزء مهما منها، حيث اندفع كل طرف لضمان تواجده بها. وكشفت الحرب عن رغبة روسيا في التوسع الجيوبوليتيكي، في مقابل دعم الولايات المتحدة لأوكرانيا عسكريا، وهو ما ظهر في وصول الهجمات الأوكرانية إلى شبه جزيرة القرم، وتوسع رقعة الحرب.

– شكلت ورقة النفط أهم متغير في توازنات القوة الإقليمية والدولية، حيث أدى قطع الغاز الروسي عن دول أوروبية كألمانيا فرنسا بلغاريا وبولندا، إلى تخوّف من حدوث أزمة تؤثر سلبا على اقتصادات الدول الأوروبية ككل، وعلى قدرتها على إيجاد مصادر أخرى لتنويع الإمدادات، وهو الأمر الذي يجعل البحر الأسود معبرا لانتقال النفط من بحر قزوين وآسيا الوسطى، بدلا عن طرق النقل البرية شمال أوروبا.

– تسعى القوى الصاعدة كالصين والهند إلى إيجاد مواقع مهمة لها في البحر الأسود، فالصين ومن خلال مبادرة الحزام والطريق، عززت شراكتها الاقتصادية مع دول المنطقة، وهو الأمر الذي يفتح فضاء جديدا للتنافس بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية، وينقله من جنوبي آسيا والمحيطات الكبرى إلى البحار الداخلية.

– أعطت حرب أوكرانيا 2022م فرصا مهمة للقوى الإقليمية كتركيا، لإعادة التموقع في خارطة التوازنات الاستراتيجية، بما تملكه من موقع جغرافي ومن قدرة على لعب دور الموازن الإقليمي، بينما تسعى أيضا دول منطقة البحر الأسود الأخرى، إلى الاستفادة من علاقاتها الاقتصادية مع الصين وروسيا، دون التخلي عن رغبتها في الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، والحماية الأمنية التي توفرها لها الولايات المتحدة.

– يظهر في منطقة البحر الأسود تشكّل نمط تعددي لتوزيع القوة، يفرضه منطق الطاقة والغذاء والأمن من جهة، ورغبة كل طرف إلى تحقيق مكاسب توفر له النفوذ من جهة أخرى، ما ينعكس على تراتبية القوة العالمية.

الهوامش

[1] البحار السبعة، البحر الأسود، موسوعة ال 99، نقلا عن الموقع: https://bit.ly/3eb63RX، (2022/08/17).

[2] أحمد بدر، حقل سكاريا يضيف 10 ملايين متر مكعب لتركيا، الطاقة، (2022/06/13)، نقلا عن الموقع: https://bit.ly/3wLVgUV، (2022/08/17).

[3] 1936 convention regarding the regime of the straits, 20 July 1936, Article 02, article 05, Montreux, Switzerland.

[4] Triantaphyllou Dimitrios, Mustafa aydin, a 2020 vision for the black sea region, a report by the commission on the black sea, may 2010, p22.

[5] Dungaciu Dan, the geopolitical black sea encyclopedia, Cambridge scholars publishing, UK, 2020, p xiv.

[6] krikke Jan, Ukraine and the battle for Eurasia, Asia times, (26/04/2022), in: https://bit.ly/3APTPaA , (24/08/2022).

[7] بن ضيف الله القرني أحمد، أوكرانيا في الجيوبوليتيك الروسي، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، الرياض، 2022، ص07.

[8] دوغين ألكسندر، الخلاص من الغرب الأوراسية: الحضارات الأرضية مقابل الحضارات البحرية والأطلسية، ترجمة علي بدر، مكتبة دار ألكا، بغداد، 2021، ص36.

[9] دوغين ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة: عماد حاتم، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2004، ص 433.

[10] دوغين ألكسندر، الخلاص من الغرب، مرجع سابق، ص 113.

[11] دوغين ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا، مرجع سابق، ص 435.

[12] معروف ايمان، لماذا البحر الأسود مهم لأسواق السلع، صحيفة الرؤية، (2022/02/26)، نقلا عن: https://bit.ly/3CwoBpZ، (2022/08/26).

[13] أحمد عاطف، الرؤية الثالثة، الحرب الروسية الأوكرانية من منظور آسيوي، رؤى عالمية، المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة، العدد 18، أفريل 2022م، ص04.

[14] الإمارات اليوم، دلالات صفقة الحبوب بين روسيا وأوكرانيا بوساطة تركية وأممية، المستقبل للدراسات والأبحاث المتقدمة، أفريل 2022، نقلا عن الموقع: https://bit.ly/3pOCmsv، (2022/08/18).

[15] محمود سالم السامرائي، استراتيجية روسيا الاتحادية الصاعدة: نهاية القطبية الأحادية، شركة الأكاديميون للنشر، الأردن، 2018، ص143.

[16] جولاق صفوان، الأمن والنفوذ والأطماع: توتر متصاعد عنوانه البحر الأسود بين روسيا والغرب، الجزيرة، نقلا عن: https://bit.ly/3PuuOFO، (2022/08/17).

[17] المرجع نفسه.

[18] روسيا تكشف عن اعتراض مدمرة بريطانية في مياه القرم، العربي الجديد، (2021/05/27)، نقلا عن: https://bit.ly/3AmzM1Z، (2022/08/20).

[19] Deborah Sanders, the black sea region caught between east and west, the journal of Slavic military studies, vol34, N°02, (2021), p 203.

[20] Steven Everts the role of china in the broader black sea region foreword, in: alexander martin (ed), china in the broader black sea region, GLOBSEC, Slovakia, 2021, p II.

[21] Deborah Sanders, op.cit, p206.

[22] Pritish Gupta, the "17+1" initiative: is china losing its charm in central and eastern Europe, observer research foundation, (18/09/2020), in: https://bit.ly/3QT9iw0, (25/08/2022).

[23] Idem.

[24] Idem.

[25] Deborah Sanders, op.cit, p203.

[26] Ibid, p207.

[27] محمود سالم السامرائي، مرجع سابق، ص116.

[28] Deborah Sanders, op.cit, p209.

[29] Ibid, p, p 215, 216.

[30] Nalin kumar mohapatra, geopolitics of the Black sea region and Russia-Nato strategic game: India's policy options, USANAS Papers, USANAS foundation, India, 2021, p12.

[31] Ibid, p13.

[32] Graeme P Herd, Fotios Moustakis, Black sea geopolitics: dilemmas, obstacles and prospects, conflict studies research center, July 2000, p01.

[33]ibid, p07.

[34] A. Yermekhayev, A. Khairruldayeva, ZH. Medetkhanov, Russia's geopolitics in the black sea region, Халықаралық қатынастар және халықаралық құқық сериясы, el Farabi Kazakh university , vol 92, N°04, 2020, P17.

[35] إسماعيل عبد اللطيف نزار، التنافس الروسي التركي على إقليم البلقان بعد الحرب الباردة، مجلة العلوم السياسية، العراق، العدد 37، 2008، ص212.

[36] نفس المرجع، ص213.

[37]A. Yermekhayev, A. Khairruldayeva, ZH. Medetkhanov, op.cit, P17.

[38] أحمد مولانا، الموقف التركي من الأزمة الأوكرانية وتداعياته على العلاقات مع روسيا والغرب، مركز الجزيرة للدراسات، (2022/03/01)، نقلا عن الموقع: https://bit.ly/3e5nLGP، (2022/08/29).

[39]Maximillian Hess, welcome to the black sea era of war, foreign policy analysis, (25/04/2022), in: https://bit.ly/3RiGq00 , (17/08/2022).